مفتاح السرائر، وكنز الذخائر

للسيد الشريف شيخ الإسلام

الشيخ أبي بكر بن سالم العلوى الحسينى

الحضرمى الشافعى

رضى الله عنه

الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

ترجمة

الإمام الفخر الشيخ أبي بكر بن سالم

بقلم حفيده راجي عفو ربه الغني

عبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار العلوي الحسيني الحضرمي

هو شيخ الإسلام ، وقدوة الأنام ، إمام العلماء ، وحلية الأولياء ، فريد عصره ، ووحيد دهره ، الداعي إلى الله تعالى بحاله ، والمرشد للحق بمقاله . من أذعن له بالسبق أساطين العلم في زمانه ، وجدد مآثر سلفه الصالح في أوانه . سليل الحضرة النبوية ، وفرع الدوحة العلوية . العالم الرباني ، الإمام فخر الدين « أبو بكر بن سالم العلوي » ، رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

ولد بمدينة « تريم الغناء » ، إحدى البلاد الحضرمية ، في الثالث عشر من جمادى الثانية سنة ٩١٩ هـ ـ ونشأ بها نشأة صالحة مرضية على سنن أسلافه الأطهار ؛ فحفظ بها القرآن الكريم .

وأخبر الثقات : أنه لما استعصى عليه الحفظ أول الأمر ، شكا والده أمره إلى الشيخ الإمام « شهاب الدين بن عبد الرحمن

ابن الشيخ على » فقال له : دعه فسيقبل عليه بنفسه ، ويكون له شأن عظيم . فكان كما قال . وأقبل عليه بنفسه حتى ختمه فى أقصر مدة .

ثم اشتغل بتلقى العلوم العربية والدينية عن أكابر علمائها بعزيمة قوية ، وصفاء روح وصدق نية . تواتيه فى ذلك قريحة وقادة ، وروح وثابة . فبدت أعلام نجابته ، ودلائل فطانته ، وبشائر زعامته فأكب - كما قال الشلى فى المشرع الروى - على كتبها واجتهد فى تحصيلها ، وحفظ أصولها وفروعها : حتى أخذ من سائر العلوم بأوفر حظٍ . جامعاً بين فهم وتحقيق ، وحفظ وتدقيق ، مقدماً فى العلوم الشرعية ، فارسا فى العلوم العربية ، بارعاً متقناً فى سائر العلوم .

ونبغ فيها جميعها نبوغا مشهوداً ، ظهرت آثاره فى دعوته إلى الله تعالى وإرشاد العباد إلى سلوك طريق السداد .

شيوخه :

وممن تلقى عنهم : السيد عمر باشيبان باعلوى ، والفقيه الصالح عبد الله بن محمد باسهل باقشير ، والفقيه عمر بن عبد الله بامخرمه - قرأ عليه الرسالة القشيرية ، والشيخ معروف بن عبد الله باجمال الشبامي ثم الدوعنى .

هجرته من « تريم »

ثم بدا له أن يرتحل من « تريم » إلى بلدة أخرى ، يحيي دارسها ويجدد معالمها ، ويقيم دعوته في ربوعها ـ فقصد إلى بلدة «عينات» وهي من بلدان حضرموت ، على نصف مرحلة من «تريم» اختطها « آل كثير سنة ٦٢٩ هـ» ثم صوح نبتها وعفى أثرها فاتخذها له مهجراً وأحياها بالعلم ، وانتصب فيها للتربية والتعليم والإرشاد . وأسس فيها مسجده العظيم ، واختط بها مقبرة واسعة . فرحل إليه الناس من أقاصي البلاد للانتفاع به ، والتلقي عنه ، والاستفادة منه ، وازدحم فيها تلاميذه ومريدوه من كل صوب : من حضرموت واليمن ، والشام ، والهند ، والسند ، ومصر ، والسواحل ، وعدن ، والشحر ، والمشقاص .

وكلهم حوله ينهلون من معين فضله ، ويرتوون من فيض علمه ؛ حتى ازدهرت بهم « عينات » القديمة ، وأصبحت عامرة آهلة ، تباهي بحاضرها ، وتفاخر بشيخها الإمام الذي به عرفت ، وبفضله اشتهرت ، وكانت من قبل نسيا منسيا .

وفيها يقول الأمير محمد بن علي بن جعفر الكثيري :

إن جئت « عينات » فحي ثراها   واستنشق العرفان من رياها
والصق جبينك بالتراب مقبلا   شكراً لمن أولاك لثم ثراها
بلد أقام بها الكمال وحبذا   بلد غدا الغوث العظيم حماها

واستقبل الشيخ المعظم خاشعاً في ذل نفس كي تنال مناها

أخلاقه ومكارمه :

وكان رضى الله عنه مضيافا كريما ، جوادا سخيا ، ينفق نفقة من لا يخشى الفقر ؛ فكان ينحر من الإبل الواحد والاثنين لزائريه إذا كثروا لديه ـ وما أكثر ازدحامهم برحابه الفسيح ! ؟

وكان يبالغ في العنايه بأضيافه ورعاية شئونهم بنفسه، ويتصدق كل يوم وليلة بنحو ألف قرص خبز على الفقراء ومع كونه أندى الناس يداً ، وأكثرهم بذلا ، كان أوسعهم خلقا ، وأفسحهم صدراً ، وأطيبهم معشراً ، وأكثرهم تواضعا افلم ير في جلوسه متكئا ولا متربعا ! !

قال الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن أحمد باوزير : إن الشيخ أبا بكر مكث خمس عشر سنة آخر عمره لم يجلس في جميع مجالسه إلا مجلس التورك للصلاة في كل أوقاته مع الخاصة والعامة ! !

☆ ☆ ☆

وكان عظيم العناية بالغرباء ، والشفقة والعطف على الضعفاء ، والبر والمواساة للبؤساء ، يراعيهم بنفسه ويجبر خواطرهم ، ويقوم بحقوقهم ومصالحهم .

☆ ☆ ☆

وكان من ثمرات هذه الأخلاق النبوية : شدة محبة الناس له ، وإقبالهم عليه ، وذيوع اسمه فى الآفاق ؛ فكان يفد إليه من غير تلاميذه ومريديه خلق كثير من جهات مختلفة : شرقاً وغرباً ، وشاماً ويمناً وعرباً وعجماً . وكلهم يقيم مكرماً ، وينصرف معظماً .

عبادته ودراساته :

وكان كثير العبادة والرياضة . مكث مدة يصوم ولا يفطر إلا على البسر الأخضر من جهمية له باللسك ، ورثها من أبيه ، وقال : إنها أحل ماله . ومكث فى « يبحر » - شعب من الشعاب - تسعين يوماً صائماً قائماً ولبث نحو أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء فى مسجد « با عيسى » باللسك ، ويصعد كل ليلة لزيارة مقبرة « تريم » ويصلى فى مساجدها ، ويحضر صلاة الجماعة صبحاً فى « با عيسى » وفى آخر عمره لم يترك صلاة الضحى والوتر على الكمال .

وكان ملازماً لأوراد الطريقة . وله دعوات وصلوات ، وورد كبير سماه « حزب الحمد والمجد » أملاه قبل الفجر فى مجلس واحد ، وهو آخر مصنف تلقاه عنه تلميذه العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبد الرحمن با وزير فى الثامن من شهر المحرم سنة ٩٩٢ هـ .

وكان يزور كثيراً قبر نبى الله هود عليه السلام ؛ حتى

بلغت زياراته المشهورة له أربعين مرة ، كما أخبر بذلك الفقيه محمد بن سراج الدين .

وكان يسرى كل ليلة من « اللسك » إلى « تريم » يصلى فى مساجدها ، ويملأ الجوابى للوضوء والسقايات لشرب الصادرين والواردين ، والحياض لشرب الدواب ـ نحو أربعين سنة

* * *

وكانت له دراسات علمية كثيرة : حتى إنه قرأ الإحياء لحجة الإسلام الغزالى نحو أربعين مرة . وقرأ المنهاج فى فقه الشافعية للإمام النووى ثلاث مرات ـ قراءة تحقيق . وكان لا يقرىء تلاميذه فى الفقه إلا المنهاج . وكان من عادته بعد صلاة الجمعة أن يذكر الناس . وقرأ الرسالة القشيرية على شيخه السيد عمر بن عبد الله با مخرمه .

مؤلفاته :

ومن مؤلفاته : (مفتاح السرائر وكنز الذخائر) ألفه فى سن مبكرة لم يجاوز فيها السابعة عشرة من عمره [وهو المطبوع هنا] . و (معراج الأرواح) فى علم الحقيقة ـ ابتدأه فى رمضان سنة ٩٨٧ هـ وأكمله فى ٩٨٩ هـ .

وكتاب (فتح باب المواهب) فى علم الحقيقة ـ ابتدأه

فى شوال سنة ٩٩١ هـ وختمه فى التاسع من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وكتاب (معارج التوحيد) . وديوان ضخم ، أنشأه فى أول سلوكه .

كلماته وعظاته :

وله درر منتثرة ، وكلمات مأثورة مشتهرة منها :

(قوله) : « أربح أوقاتك : وقت تفنى فيه نفسك ، وأخسر أوقاتك : وقت توجد فيه نفسك . واعلم أيها العبد : أنك لا تصل إلى الله تعالى إلا بعد فناء نفسك ، ومحو حسك . ومن عرف نفسه لا يرى غير الله[1] ، ومن لم يعرف نفسه لا يرى الله تعالى . وكل إناء يرشح بما فيه » .

(وقوله) فى الحث على المجاهدة وحفظ الأوقات : « من لم يجاهد فى البدايات لم يصل إلى النهايات ، ومالم تجاهد لم تشاهد ، قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ . ومن لم يحافظ على الأوقات لم يسلم من الآفات . ومن وقع فى الزلات استحق التبعات » .

(وقوله) فى فضيلة الصحبة : « من جالس الأخيار حظى بالمعارف والأسرار ، ومن جالس الأشرار استحق العار والنار » .

---

(١) أى من عرف أنها عدم محض لا يرى موجودا على الحقيقة غير الله تعالى .

(وقوله) مفسراً قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لست كأحدكم إنما أظل عند ربي يطعمني ويسقيني » أي طعام وشراب المعاني من فيض حضرة القدس .

(وقوله) : « لن تنال الحقائق إلا بترك العلائق . وفي القناعة الراحة والسلامة ، وفي الطمع الذل والندامة . والعارف ينظر إلى عيوب نفسه ، والغافل ينظر إلى عيوب الخلق . ومن صمت سلم ، ومن تكلم ندم » .

(وقوله) : أعدم وجودك في وجوده . وامح شهودك في شهوده ، واستعد لموعوده . وخذ من العلم ما نفع ، إن كنت لكلامي تسمع . وافهم ذلك تجده واضحاً إن شاء الله تعالى . . !

واعلم أن الله تجلى على قلوب أوليائه العارفين ؛ لأنهم فنوا عما سواه ، وغابوا عن رؤية الأكوان بمكون الأكوان ، وأصبحوا وأمسوا طائعين سالكين ، راجين خائفين ، راكعين ساجدين ، فرحين مستبشرين ، راضين بالقضاء والقدر ، لم يختاروا إلا ما اختاره لهم مولاهم . »

(وقوله) : السعيد من أسعده الله بلا علة[1] . والشقي من أشقاه الله بلا علة ـ هذا كلام الحقيقة .

وأما كلام الشريعة : فالسعيد من أسعده الله بالأعمال الصالحة ،

---

(١) أي بلا سبب من العبد بل بمحض فضل الله .

والشقي من أشقاه الله بترك الأعمال الصالحة ، وهتك الشريعة العامرة ـ نسأل الله العفو والعافية .. !!

(وقوله) « الشقي من اتبع نفسه وهواه ، والسعيد من خالف نفسه وهواه ، ورحل عن الكون إلى ربه ، وأصبح وأمسى متابعاً لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم » .

(وقوله) : « عليك بالتواضع والخمول ، واحذر من التكبر والرياسة » .

(وقوله) : « فلاحك فى سخطك على نفسك ، وهلاكك فى رضاك عن نفسك ؛ فكن ساخطاً عليها ، لا راضياً عنها تظفر بالوطر إن شاء الله والعارف من عرف نفسه ، والجاهل من جهل نفسه ، ما أسهل على العارفين بالله من إرشاد الجاهل وقد تكسب السعادة الأبديه بنظرة ، وما سترت الحقائق عن القلوب إلا بنظر إلى السوى والكائنات فهى الحجاب ؛ وإلا فالحقائق جلية ما عليها حجاب ، وارض بما اقامك الله فيه . قال بعضهم : لى مدة أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى شيء فكرهته » .

(وقوله) : « وفقك الله لما يحب ويرضى : كن فى مقام التسليم لله سبحانه ، والزم الأدب فى الاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ونهى عنه . وأحسن الظن فى عباد الله ، فإن سوء الظن من عدم التوفيق . والزم الرضا بالقضاء ، وإن عظمت المصيبة

فلا يكن منك إلا الصبر الجميل ، قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . واترك الخوض فيما لا يعنيك ، وعليك بخويصة نفسك .

(وقوله) : الدنيا بنت الآخرة ، ومن عقد على البنت حرمت عليه الأم » .

إلى غير ذلك من كلماته الحسان المأثورة ـ رضى الله عنه .

مناقبه :

أما مناقبه فكثيرة مشهورة . أفردها بالتأليف كبار العلماء ؛ منها :

(بلوغ الظفر والمغانم فى مناقب الشيخ أبى بكر بن سالم) للعلامة الشيخ محمد بن سراج الدين .

(وكتاب الزهر الباسم فى ربا الجنات ، فى مناقب الشيخ أبى بكر بن سالم صاحب عينات) للعلامة الشيخ عبد الله بن أبى بكر بن أحمد با شعيب . وحدثنا السيد المسند صدر الدين الشهير سالم بن أحمد بن جندان العلوى أن لديه مناقب خطية للمترجم : منها :

(بغية أهل الإنصاف بمناقب الشيخ أبى بكر بن سالم بن عبدالله السقاف) للعلامة محمد بن عمر بن صالح بن عبد الرحمن با رجا الخطيب .

(وكتاب ذكرى الحبيب فى مناقب مولى الكثيب) للعلامة السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البيضى العلوى .

(وكتاب أنس الراغبين فى ترجمة قطب الواصلين) للعلامة الشيخ أحمد بن عبد الله بن سهل الكندى .

(وكتاب برد الأكباد فى مناقب قطب الأوتاد) للعلامة السيد عمر بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد العزيز بن على البصرى المكى الشافعى .

(وكتاب النهر المورود فى مناقب الشيخ أبى بكر فخر الوجود) للعلامة المرشد الكبير السيد الحسن بن اسماعيل الحامد

(وكتاب اللوامع البينات فى مناقب مولى عينات) للعلامة الكبير الإمام عمر بن عبدالله بن شيخان بن الشيخ أبى بكر بن سالم .

(وكتاب بغية أهل المغانم ، فى أخبار الشيخ أبى بكر بن سالم) للعلامة محمد بن أحمد بن عنقاء التهامى الحسنى

(وكتاب الجواهر والدرر ، فى ترجمة الشيخ أبى بكر) للعلامة أحمد ابن عبد الله السودى .

(وكتاب السيل الجراف فى مناقب سيد الأشراف) للعلامة الشيخ أحمد عتيق الحضرمى الكندى .

(وكتاب بلوغ المراد ، فى مجموع الأذكار والأوراد) للعلامة السيد عمر بن عيسى باركوه الحسينى السمرقندى .

(وكتاب منهل الموارد ، فى الأسانيد والشوارد) للعلامة الفقيه عبد الله قدرى با شعيب .

(وكتاب المجد والسعادة ، فى تحبير تراجم السادة) للعلامة الشيخ رضوان بن أحمد با رضوان بافضل .

(وكتاب الحلل السندسية ، فى الخرقة الفخرية) للسيد الداعية الإسلامى سالم بن أحمد بن جندان .

(وكتاب شذى الأزهار ، فى السلسله الفخرية والأوراد والأذكار) للعلامة الشيخ محمد بن أبى بكر با نافع .

(وكتاب المنهج القويم ، فى كيفية التحكيم) للعلامة السيد عبد الله بن عمر بن يوسف بن عابد الحسينى .

(وكتاب حديقة الواردين ، فى ذكر الهدايا والمراسلات ووفادة السلاطين) للفقيه المفتى الشيخ مهنا بن على بن منصور با مزروع القنزلى الكندى .

(وكتاب الشمس الشارقة ، فى الكرامات الخارقة) للعلامة الشيخ عبد الله بن عبد المانع با نافع .

(وكتاب فيض الجود ، فى سيرة فخر الوجود) للشيخ حسن بن أحمد با شعيب .

(وكتاب قطف الثمر ، فى حياة الشيخ أبى بكر) للسيد المسند سالم بن أحمد بن جندان .

(وكتاب الشرف الدائم ، فى مناقب الشيخ أبى بكر بن سالم) للعلامة السيد على بن عيد روس بن سالم بن الشيخ أبى بكر بن سالم.

(وكتاب ذكرى الحبيب ، فى مناقب مولى الكثيب) للسيد العلامة سالم بن حسن بن عمر الحامد .

وقد ترجم له الكثير من الأكابر فى كتبهم : « كالنور السافر » ، « والدرر الفاخرة » ، و«المشرع الروى» ، و « فيض الأسرار » ، و « بهجة الناظرين » ، و « بشرى الكريم فى ذكرى أولياء تريم » هذا ما نقلناه عن السيد المسند البحاثة « سالم بن أحمد ابن جندان » . وعن (كتاب الجوهر الثمين، فى مناقب المدرسين) بعينات .

أقوال الأئمة العارفين فى المترجم :

أثنى عليه ووصفه بالاجتهاد شيخ الإسلام وقطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد .

وامتدحه وأثنى عليه الشيخ الفقيه عبد القادر بن أحمد المالكى صاحب الروضة بحبان . وله فيه رسالة بليغة تسمى « مشكاة الأنوار ، ومظهر الأسرار فى أوصاف قطب الأخيار فخر الدين أبى بكر بن سالم » .

والشيخ عبدالقادر بن أحمد المكى الفاكهى ، الكاتب الكبير ،

والشاعر البليغ . وله فى مدحه رسالة بديعة .

وامتدحه الفقيه الأديب الكامل على بن محمد سحاب المكى . بمقامة سماها « تحفة المغانم وخلاصة المكارم فى مدح الشيخ أبى بكر بن سالم » وله رسائل أخرى إلى سيدنا الشيخ أبى بكر .

قال الإمام الشيخ عبد الله بن أبى بكر با شعيب : ومن أعجب العجب رسالته العظيمة المسماه « نفحات روائح الأنس ، ولوائح نفائح حظائر القدس » المشتملة على ثلاث مقامات غريبات : الأولى على لسان خطيب الفقهاء . والثانية على لسان خطيب المحدثين ، والثالثة على لسان خطيب أهل العلوم الأدبية .

وامتدحه الأديب الشيخ عمر بن إبراهيم الحبانى . والفقيه العلامة أحمد الشبلى المكى بمقامة تسمى « الرحابية » .

وأشاد به الشيخ العلامة على بن على السمهودى المكى المدنى بقصيدة عصماء .

وأثنى عليه العباقرة من العلماء والحكماء والأدباء نثراً ونظماً . ومنهم السيد الشريف عبد الرحمن بن أحمد البيضى با علوى الشحرى .

بشائر الفتح الربانى على المترجم :

ومن بشر به قبل ظهوره ، ثم قبل ترعرعه واشتهاره ـ من

طريق الإلهام الرباني والكشف الفيضي - : العارف بالله السيد أحمد بن علوي . والإمام القطب الشهير أبو بكر بن عبد الله العيدروس . وسيدنا محمد بن أحمد جمل الليل .

وفاته رضي الله عنه :

وقد انتقل رضى الله عنه إلى رحمة ربه ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٩٩٢ ، ودفن بعينات ، وله بها قبة عظيمة ، ورثاه جها بذة العلماء ، ومصاقع البلغاء من الأدباء نظماً ونثراً قال العلامة المؤرخ عبد الله بن محمد بن حامد السقاف فى « تاريخ الشعراء الحضرميين » : ولا تسلنى عن كثرة المراثى التى رثى بها ؛ فانى لا استطيع لها عدا اه .

وممن رثاه العلامة عمر بن إبراهيم الحبانى بقصيدة طويلة ، منها :

رزء ألم ففتت الأكبادا — وأهال أطواد المهاد رمادا
وتشققت منه القلوب تفجعاً — وتجللت شمس النهار سوادا
وارتج وجـه الأرض لما أن دهى — ما قـــد دهى من عظم ذاك ومادا
وغدا فأوقـــد محرقاً نار الأسى — فى قلب كل موحـــد إيقادا

لمانعى النـــاعى بأعلى صوته
قد غص من فيض الدموع ونادا
إن الإمام القطب فخر الدين من
شاعت فضائـــله وساد وجادا
قضى على هدى البرية نحبه بلطيف تربية لهـا وأفادا
وسرى إليها سره فتوسلت بالسر منه أن تنال مرادا
فأنالها رب العلى ما أملت ولها به قد أنجز الميعادا
شيخ له فى كل مجد رتبـة علوية يسمو بها إن جادا
شيخ له التصريف فيما شاءه من أمره وأحبه وأرادا
شيخ رقا فى ذروة التمكين فهـ
ـو يمد من إمـــداده إمدادا
شيخ إذا أعـددته للمة أبدى لصرف عظيمها استعدادا
شيخ إذا اجبته نلت المنى والسول والمأمول والإسعادا
شيخ له نور مبين يهتدى بالخير حاز الخير والارشادا
شيـخ أبان الحق بعد خفائه وغدا له فى العالمين عمادا
شيخ عليه قلوب أهل الله عا كفة صفاء خالصا ووادا
يارحمة للعالمين وكعبـة للقـاصدين وسيدا رفادا
يامن له المجد الأثيل ومن به يشفى العليل وللعلاج أجادا

يامن أفاض على القــــلوب معارفاً

ووساوس الشيطان عنهـا ذادا

من ذا يقوم بحمل ماحملته
من ذا يقوم مقامك الآمادا

من ذا له نور ينور ظلمــة
كثفت يضاهى نورك الوقادا

لهفى على من غيبته لحودهم
من بعد ماقد غيب الإلحادا

وهذا آخر ما تيسر جمعه من تراجم هذا الإمام العظيم ، وكان بدء ذلك بعينات غرة صفر سنة ١٣٨٥ ﻫ ، وختامه بمكة المكرمة فى ٩ جمادى الأولى من العام المذكور . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

عبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار

ابن الإمام الحسين بن الفخر أبى بكر بن سالم

عفا الله عنه ولطف به

ويليها :

رسالة مفتاح السرائر

ألفها

فى السابعة عشرة من عمره

وهى باكورة مؤلفاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، الستار الجبار ، (فالق الاصباح ، وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) ، هو الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى رفع حجابه بينه وبين أوليائه ، فشاهدوه فى كل شيء بعين البصيرة ، التى لايحجبها شيء فظهرت منهم الكرامات الخارقة للعادات ، نفع الله بهم آمين .

سبحان الله الحنّان المنّان ، الكريم الرحمن المعروف بالعطاء والإحسان ، من قبل أن يوجِد الخلقَ أجمعين ، سبحانه ماأكرمه من خالق ، أوجدنا من العدم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء ، وخلق الجنة والنار ، فجعل الجنة مأوى للمؤمنين ، وجعل النار مثوى للكافرين .

اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار ، ومن الحرمان من ذوق الصالحين .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله المصطفى ، الذى اختاره من العرب والعجم من أشرف القبائل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أعلم وفقنا الله وإياك توفيق الصالحين ، أن هذه نبذة شريفة ، نذكر فيها ماتيسر وأرجو من الله تعالى أن تكون غزيرة المعنى ، قليلة اللفظ وبالله التوفيق .

أعلم[١] وفقنا الله وإياك توفيق الصالحين . عليك بالطاعة فإنها أصل النجاة وبها يحصل الفوز فى الجِنان ، وعليك بترك المعاصى صغيرها وكبيرها ، فإنها أصل الخذلان ، وبها يحصل الخسران ، نسأل الله الكريم الغفرانَ ، قال الله تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) .

وجدِّد ثياب الإقبال على الطاعة واعزم على فعل الخيرات فى نهارك وليلك فإن المقت فى تأخير الطاعة وتطويل الأمل ، وقد جاء فى بعض الأخبار أن تطويل الأمل حرام محض ، وقلت فى ذلك :

ولا تُرْجِ فعل الصالحات إلى غدِ
لعل غداً يأتى وأنت فى اللحد

---

(١) أى اعلم ما يأتى بعد .

وقلت :

وتبلَى عظامك فى التراب وتُبتلَى
بتنعيم روح أو عـــذاب بحفرة

وما أحسن قول أبى الربيع رضى الله عنه : سيروا إلى الله عُرجاً ومكاسير إلى آخره .

باب فى صفة الدنيا وذمها

وعليك يا أخى بترك الدنيا ظاهرا و باطنا فانها رأس كل خطيئة ، وأخرجها من قلبك فإن حبها وحب الله لايجتمعان فى قلب واحد ، كما لايجتمع الماء والنار فى إناء واحد ، وطالبها ذليل عند الله ذليل عند الخلق ، فانها دار المكر والخداع ، والهموم متعلقة بمن أحبها ، فأرح قلبك بتركها فإن الزهد فى الدنيا يريح القلب .

قالت الأعرابية لزوجها لما رأته مهموما إن كان همك بالدنيا فإنه قد فرغ منها ، وإن كان همك بالآخرة فزادك الله همًّا بها .

قال سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم : الدنيا دار من لادار له ويجمعها من لا عقل له ، والدنيا عدوّة الله وعدوة أوليائه ، ولو ساوت عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء فكيف وأنت معتكف عليها نهارَك وليلك يامغرور ، وقد

جعلها الله تعالى لعباده الصالحين خادمة لهم فقال من خدمنا فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه ، فانظر إلى هذا الفرق العظيم ولكن ضاعت العقول فى شىء فانٍ ، ولم تخلق إلا للطاعة ، وطلب الآخرة ، فكن كما قيل صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة ، وقلت فى ذلك .

تيقظ يامغرور واترك حطامها
فهى دار فناء لابقا لنعيمها
وطالبها فى نتنها إن يشمها ووافقنى قلبى على ترك كلها

وقال بعضهم لو كانت الدنيامن ذهب يفنى ، والآخرة من خزف يبقى ، لكان حقًّا أن نختار خزفًا يبقى ، على ذهب يفنى ، فكيف والأمر بالعكس ، الدنيا خزف يفنى ، والآخرة ذهب يبقى .

فأوصيك ياأخى بتركها وإخلاء القلب منها ، والبذل لها إن وجدتها ، فإنما عميت البصائر من حبها نعوذ بالله منها فإنها أسحر من هاروتَ وماروت وطالب الدنيا فقير ، وطالب الجنة من النار أُجير وطالب الله عزيز أن يدرَك فى زماننا هذا ، وإن القلب كالمرآة ان صقَّيتها تصقلت ، وإن كدرتها تكدرت ، وعميت ، والإناء إذا كان خاليا ووضعتَ فيه شيئًا حفظه ، وان كان ملآنا لبس يحفظ شيئًا ، كذلك مثَل القلب إذا امتلأ من حب الدنيا نسى الآخرة التى هى دار

القرار ، ولا يجد عنها فرارا ومواهب الله عظيمة ، ولكن ذلك عزيز ، فرّغ قلبك عن الكون وأهله ، تر الله ظاهرا فيه ليس خافيا ، ومتى كانت الأكوان حتى تحجبك عن الله ، وكان الله تعالى ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ، اضمحلت الأكوان ، إذا ذكر المكوّن غُضّ بصرك عن الأكوان تشهد المكون فيها ، كان الكون هباء وعدما فاظهره الله سبحانه وتعالى لمراده وحكمته البالغة ، الأرض سطحها والسماء رفعها وزينها بالشمس والقمر والنجوم ، لكى يعتبر الخلق إلى يوم القيامة ، وجعل الموت واعظا والقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار الحديث ؛ ثم يبعث الموتى إلى الحشر والمحاسبة نسأل الله تعالى المسامحة فى ذلك اليوم لنا ولوالدينا ومشائخنا وأحبابنا أجمعين فقوم اختارهم لجنته دار المقامة فهم فيها خالدون أبد الآباد وهم المؤمنون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقوم يسحبون إلى النار دار الخزى والبوار نسأل الله تعالى السلامة منها وهم الكافرون الجاحدون لله تعالى ورسوله ، فكن مصدقا ومعتقداً لذلك من صميم قلبك ، وإلا هلكت مع الهالكين ، نسأل الله تعالى العافية .

واعلم أيها العبد أن الله تعالى مطلع على سرائرك وخواطرك من حيث لا تعلمها أنت من نفسك ، فكيف بظواهرك ؛ وأنه يعلم حركاتك وسكناتك ، فكن أنت معتقدا لذلك ، والجأ إلى الله تعالى فى الضرائر

ضرورة ، لأنه لانافع ولا ضارّ ولا معطى ولا مانع إلا الله سبحانه وتعالى ، فكيف تخاف غيره وهو لاينفع نفسه ، وكيف يمكن أن ينفعك أو يضرك وهو عاجز ضعيف ولكن عميت البصائر ، وكلّت السرائر .

واعلم أنه ليس بينك وبين الحق طريق طويل أو قطع سباسب ، ولكن اعرف نفسك فإنه لايمكن معرفة الله تعالى إلا إن عرفت نفسك ، وأنت[1] ارجع إلى التفكر فى ذلك والتدبر وترك الشهوات عسى أن تعرف نفسك بعد ذلك ، فتعرف ربك وفى الحديث « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وهذا مقام الإحسان ، وكما قيل لبعض الصوفية أين الله فقال أسحقك الله هل تطلب مع العين أين[2] ، وقلت فى ذلك :

هو الله ذو الجلال والعز والبقا　　فلولاه ما كانت سماء ولا أرض

وكن بربك أيها العبد فى كل حال واثقاً ، ولا ترجع إلى نفسك فإن الراجع إلى نفسه دائم فى التعب والسخط ؛ والراجع إلى ربه دائم فى الراحة ، لأنه قد تحقق أن ما جاءه من نعمة أو بلاء

---

(١) أى وأنت إذا أردت أن تعرف نفسك فارجع إلى التفكر والتدبر فيها الخ

(٢) المراد من الاين المكان لوقوعه جوابا عن الاستفهام بها عنه تقول اين فلان فيقول فى البلد أو فى البيت .

فمن ربه ، إذا عرفت أن الله تعالى هو المبتلى لك رضيتَ به ، وإن لم ترض كان حظك تعب النفس ، فعليك بترك الإعراض عن الله تعالى فإنه ماسبب الغفلة إلا الإعراض عن الله ، اللهم اجعلنا مطمئنين بك يا كريم ، قال بعض الصوفية نفع الله بهم غفلة ساعة عن الله تعالى أشد من دخول النار ، فكيف من مضى عمره جميعه فى الغفلة ، فاعرف هذا الفرق العظيم وأين الثريا من الثرى .

جمالكم فى عين قلبى قد ثوى
فلست بغافل عنكم ياأولى الوفا
أحن إليكم كلما هبت الصبا
وروحى إليكم لاتفيق من الجوى(١)

فكيف تغفل عن الذى أخرجك من العدم ، وجعلك فى بطن أمك ماشاء الله تعالى ثم أخرجك إلى الأرض ورباك صغيراً ، وغذاك وجعلك مولودا فى الدين الحنيفى ، ذاكرا بلسان فصيح ، وجعل لك عقلا تعيش به ، وسمعاً وبصرا ووعدك بالجنة ونعيمها إن أطعته ، وأوعدك بالنار إن عصيته ، فاختر أيهما شئت ، ولا منجا لك منه إلا إليه ؛ فأقبل إليه طائعا مشمراً ، واقصد بابه الكريم ، ولا تنظر إلى غيره فتهلك ؛ وكن مستعزا به لأنه ربك ، ومفتخرا به لأنك عبده .

---

(١) الجوى هنا شدة الوجد والحب .

قال سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، كفانى عزاً إذ كنتَ لى ربا ، وكفانى فخرا إذ كنتُ لك عبدا ، أنت كما أحب ، فوفقنى لما تحب ، أنت كما أريد ، فوفقنى لما تريد ، من استعز بالله ذل له كل شىء ودام له عزه ومن استعز بغير الله ذل عند كل أحد ، ودام ذله ، أشهد الله تعالى فى قلبك تر الكون أصغر من ذرة فى جنب القدرة ، فإذا شهدت الله قبل الكون منحك التصريف فى الكون كله(١) .

باب فى العبودية

واعلم أيها العبد المتصف بالعبودية ، والاعتراف بالمملوكية والذل والانكسار للملك الجبار أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سأل ربه تبارك وتعالى أين أجدك ، قال تجدنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى وهؤلاء هم العبيد حقا ، وأن العاصى المفتقر إلى الله أقرب إلى المغفرة من الطائع المستكبر ، إلا من شاء الله وأن الله سبحانه غنى عن الطاعة لاتضره المعصية ، كما جاء فى الصحيح « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على

---

(١) أى التصريف اللائق بحال العبد الذى لايخرج به عن دائرة القدرة الموهوبة له من الله تعالى .

أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على صعيد واحد وسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ؛ مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر » فكن عبدا لله حقا فى كل أمورك .

باب فى اشتياق الأرواح والواردات

اعلم أيها العبد أن الأرواح مشتاقة إلى الله فى كل وقت ، ولها إلى أوطانها أنين وحنين ولكن دونها حجب ، ومن أنفذ الله بصيرته خرق له الحجب ، وأمدّه الله بالامداد من قبله وجعله يتغذى بذكره ، ويتنعم به ويرتاح شوقا إلى رياض الأنس ورياض الجنة ، وكلٌ[1] له مدد على قدر حاله ، والإمداد على قدر الاستعداد ، فكن للإمداد مستعداً لا مهملا ، وللواردات متأهلا ، والأهلية لها بتفريغ القلب عن كل شيء سوى الله ، وعن كل ماتحب وتتوق إليه النفس ، والواردات ليس لها وقت معلوم فكن لها مترجياً على كل حال سيما فى الصلاة ، وعند الذكر ، وعند استماع القوم فى الحضرات ، وهى شيء لا يعبَّر عنه .

والحجُب أصناف منها طلب الدنيا وطلب الرياسة وطلب

---

(١) أى الواردات ، شيء لاتسعه العبارات .

الشهوات ، والخوض فيما لا يعني ، والحسد وقلة ذكر الله تعالى ، ومجالسة أهل الغفلة ، وأكل الشبهة ، وكل ما يلهيك عن الله تعالى ، وذكرُ الله تعالى ، ينوِّر القلب والذكر ذكران ذكر بالقلب ، وذكر باللسان فأما ذكر القلب ، فهو أرفع من ذكر اللسان ، لأن الذاكر بالقلب معه اسم الشيء وذوقه ، لكن لا ينبغي أن تتركه لفقد الذوق ، لأنه من جملة الذكر ، وقد قال الله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) .

وقيل لبعضهم إنا نذكر الله تعالى[١] ولا نجد له أثراً في القلب ، فقال أحمد الله تعالى الذي زيّن جارحة من جوارحك بذكره ، ولأنه دليل على المحبة فإن من أحب أحدا حقيقة أكثر من ذكره ضرورة ، فإن عزَّ الذاكر بالمذكور ، وذلك عزيز جدا ، وقلت في ذلك :

فنوا عن جميع السكون طلاب حسنه يغيبون عن كل السِّوى بوصاله

باب في صفة القلب

أعلم أن القلب كالبيت ، إن حلّ فيه الحالُّ عَمره ، وإن لم يحل فيه أحد خرب ، والذكر والطاعة للقلب عمارة ، والغفلة والمعصية

---

(١) أي باللسان .

للقلب خراب ، ومن ازداد ذكره وطاعته ، ازدادت حياة قلبه ، ومن ازداد غفلة وقلة ذكر ، مات قلبه ، والأجر على قدر المشقة ، فمن زاد فى ذلك زادوه ، ومن قصر قصروه ، والاستئناس بالله تعالى على قدر الذكر والطاعة ، والاستيحاش عن الله تعالى على قدر الغفلة والمعصية ، والمستأنسون بالله لم يستوحشوا من شىء ، لأنهم لم يروا إلا الله تعالى فى كل شىء ، فلا يوحشهم شىء ، ومن أطاع الله أطاعه كل شىء .

قال بعض الصوفية لمن رأو السباع حوله متأدبات ، وعجبوا من ذلك : لاتعجبوا أنتم أصلحتم الظاهر نخفتم الأسد ، ونحن أصلحنا الباطن نخافنا الأسد .

قلت لأنهم لاينظرون إلى شىء إلا شهدوا الله تعالى فيه أو قبله أو بعده ، والله تعالى لايحل فى شىء ولا يحل فيه شىء ، ولكن ليس شىء خالياً عنه(١) فكيف تنظر غير الله تعالى فوالله ثم والله غير مكلف باليمين ولا مفتخر : ماشهدت ولا نظرت عينى شيئا إلا شهدت الله تعالى فيه أو قبله أو بعده ، وبعض العارفين لم يشهد غير الله تعالى ألبتة ، والكون كله مطية للعارفين يتصرفون فيه باذنه تعالى ، وهم الملوك حقاً .

---

(١) لأن كل شىء فهو به يستمد وجوده منه ولولاه ما كان .

اخترت ذل الفقر عن عز الغنى   إن القناعة مرتقى لا يرتقى

وقلت أيضا :

نحن الملوك حقيقة لاغيرنا   والله لاملك سوانا يوجد

ماللملوك ولاية غير اسمها   وبذلك افتخروا به قد عربدوا[١]

وقلت :

وعز بغير الله ذل حقيقة   وعز بعز الله عز حقيقة

غابوا عن الأكوان جملة بمكونها ، ومن سواهم حجبته الأكوان لضعف يقينه ، وقلة إمداده ، والحجاب عن الله تعالى هو العذاب ، والمحجوب هو المتعوب[٢] ولكن العبد دائما ممدود ، فليس له اعتراض على مولاه ، فإن جعله ذاكراً مستيقظاً يشكر الله ، وإن جعله غافلا قليل الذكر أو عاصياً يستغفر الله ، ويندم ، ويلتجىء إليه .

ومن طلب الحال مع المعصية فهو كالمستسخر ، ومن طلبه مع الطاعة فهو كالمتسبب لذلك ، ولكن مواهب الله سبحانه وتعالى واردة فى كل وقت ، وفضله واسع للطائعين والمذنبين .

قال بعضهم لأن أدخل النار وأنا طائع ، أحب إلى من أن أدخل الجنة وأنا عاص ، لأنه ما المقصود من الجنة إلا رضاه ، ولا يشتد عذاب أهل النار إلا بسخط الله تعالى .

---

(١) أى به أساؤا الرعية فهم مفسدون أما نحن فصلحون .

(٢) ذكره بهذه الصيغة مراعاة لكلمة المحجوب وإلا فالقياس متعب .

اللهم إنا نسألك رضاك ولقاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، لأنه لو احتجب عن أهل الجنة لم يجدوا لها لذة ولا نعمة ، ولو تجلى لأهل النار لم يجدوا لها ألماً ولا شدة وما المقصود من الجنة إلا رضاه ليس الجنة .

اللهم إنا نسألك الرضا عنا ، وعن أحبابنا والمسلمين إنك رؤف رحيم ، فالعارفون غضوا أبصارهم عن كل ماسواه ، حتى الجنة والنار ، لأن الجنة مخلوقة مسخرة ، والنار مخلوقة مسلَّطة ، فكيف يرجى مخلوق ، أو يخاف مخلوق ، وما عبدوه إلا لاستحقاقه العبادة ، لالرجاء جنة ولا خوف من نار ، والله الموفق .

عذابى حجابى عنك لو كنت فى النعيم
إذا كنت على راضى فلا أبالى بالجحيم

ومن شهد الله فى الرخاء والشدة لم يشتق إلى الرخاء ، ولم يتململ من الشدة ، وفى الحديث تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، فكن متعرفا لربك ملتجأ إليه ضرورة من غير تكلف .

إذا اشتدت الأيام وارتحل الرخا
أتيتك يامن هُو رخائى وشدتى
فانت الذى فى القلب رسَّى خيامه
ونحّى حجاب البعد وأجزلْ عطيتى

إذا كنت لى حال الشدائد حاضراً
وفارج أحزانى ومذهب كربتى
رجوتك يامولاى فى كل ساعـــة
هو الله مولى الـكون بارى البرية
فكن واثقـاً بالله فى كل لحظة
وكن راجياً فى رحمة الله عامة

والرجاء على قسمين الأول رجاء الطائعين وهو رجاء حقيق ، والثانى رجاء العاصين وذلك رجاء تَمَنٍّ ، ولـكن من رجا الله تعالى وأحسن الظن به ، لايخيب طائعاً أو عاصياً وكل مسلم شريك فى الرحمة المرجوة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله تعالى خلق مائة رحمة ، فجعل منها رحمة واحدة فى الدنيا ، بين الوالدة وولدها ، و بين البهائم ، فبها يتعاطفون ، و بها يتراحمون ، وأدّخر عنده تسعا وتسعين رحمة .

وقال الله تعالى (مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) .

وقال تعالى (إن ربك واسع المغفرة) .

وأعلم أن رجلين عبدا لله تعالى ، أحدهما على الخوف ، والآخر

على الرجاء ، فكان صاحب الرجاء ارفع ، لأن الله تعالى كريم .

قيل لبعضهم فى المنام ، مافعل الله بك ، قال نجانى بحسن ظنى بربى ، اللهم حسن ظنوننا بك يا كريم .

وأعلم أيها العبد أنك عزيز بربك ذليل بنفسك ، وإذا كان العبد يرى أنه خير من رجل من المسلمين ، فهو المتكبر حقا ، وهل يمكن التكبر للعبد الفقير الحقير الضعيف الذليل ، الذى لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه ضرا ، بل يضر نفسه ، فكيف ينفعها .

وأعلم أن العبد لايتكبر إلا بثلاثة أشياء .

أحدها ـ إذا استغنى بنفسه عن ربه نسأل الله تعالى السلامة من ذلك .

الثانى ـ إذا كان غافلا منهمكا فى غفلته .

الثالث ـ إذا نسى عدمه وتلاشيه فى عظمة الله تعالى ، وقلت فى ذلك :

كيف التكبرُ لعبد أصله عدماً

الموت طالبه والقبر له سكنَا

لو كان عمرك عمر النسر ما أغنى   بساعة فى لُحيدك خايفاً حزِنا
أهل التكبر يوم الحشر فى سقر   وأهل التواضع فى عز وفى أمَنَا

واعلم أيها العبد أن التكبر لا يليق بك بحال ، لأن أولك عدم ، وآخرك إلى العدم ، إلا أن ربك سبحانه وتعالى يمدك بإمداده ، وأنك إذا رجعت إلى نفسك ، عرفت أنك عدم محض ، وإن رجعت إلى ربك عرفت أنك موجود بوجوده ، وما فى الوجود إلا الموجود سبحانه ، وإذا عرفت ذلك وتحققته استحقرت نفسك ، وتحققت فقرك إلى ربك فى كل وقت ، فعند ذلك تلتجىء إليه ضرورة بغير تكلف ولا تسبب ، فتعرفه فى النعمة وفى الشدة ، ومن عرف ربه فى الشدة لم يبق إلا فى النعمة ، ومن عرفه فقد انتهى إلى ذلك .

واعلم أيها العبد أن من نسى نفسه فى الوجود ، لم يشهد إلا الموجود ، سبحانه وتعالى إذ لا موجود فى الحقيقة إلا الله ، وكل ما سواه فهو عدم ، إلا بموجده .

ومن أهل الحقيقة ، من فنى بالموجود عن الوجود ، لأنه كلما رأى شيئاً رأى الله سبحانه وتعالى قبله لأنه سبحانه وتعالى كان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وهذا عبد كامل ، وهو مع ذلك موجود مع الخلق بجسمانيته ، فانٍ عنهم بخصوصيته ، فهو غائب حاضر ،

ودون ذلك أن يرى الكون ويرى الله فيه ، فيزداد ترقياً ، ودون ذلك أن لا يشهد إلا الكون ، فيبقى معه تعباً بقلة الترق ، وقلة الرضا بالقضاء والقدر ، ومن لم يرض بقضاء الله ، فقد تعرض لمقت الله ، نسأل الله السلامة من ذلك ، اللهم رضِّنا بقضائك ،وصبِّرنا على بلائك، وأوزعنا شكر نعمائك ، وارزقنا بَرد عفوك ، وحلاوة مناجاتك ، والراضي بقضاء الله وقدره دائماً مسرور فرحان ، والكاره لقضاء الله وقدره دائماً مهموم محزون ، اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن ، ونعوذ بك من العجز والكسل ، ونعوذ بك من الجبن والبخل ، ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم اجعلنا لا نرجو ولا نخاف ولا نحب سواك ، واجعلنا خائفين من عذابك ، وواقفين على بابك ، لا نزال مستبشرين فرحين مطمئنين ، وغذِّ أرواحنا في رياض أنسك وأشهدنا جمالك وجلالك ، وأرح قلوبنا من تدبير الرزق بتدبيرك لنا يا كريم ، وأحينا وأمتنا على سنة حبيبك وصفيك ورسولك خاتم النبيين ، وصفوة العالمين، محمد سيد الأولين ، والآخرين ، وقائد الغرِّ المحجَّلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين ، اللهم اجعلنا متابعين لسنته في القول والفعل ، واجعلنا مستشفعين به إليك يا ذا الجلال والإكرام ، حتى ترضى علينا رضا لا سخط بعده أبداً ، وارزقنا محبته ومحبة أصحابه ، وأهل بيته أجمعين ،

(إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

واعلم أن هذه الدار ، محل للأكدار ، والراحة فيهـا نادرة ، لا تدرك إلا لأهل الذوق والصفاء والأسرار ، الذين يشاهدون جمال الله فى كل شىء قال سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، « الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » وهذا الحديث يطلق على كل مؤمن ، ولكن من رفع فوق درجة الإيمان وجد الذوق والراحة ، والإسلام أعظم نعمة فكيف بالإيمان ، ومقام الإيمان واليقين مقام عظيم .

وقوله صلى الله عليه وسلم ، سجن المؤمن يعنى من ثلاثة أوجه .

أحدها ـ أن فيها التعب والضيق بحيث لا توجد فيها الراحة .

الثانى ـ أن ملوك الدنيا إذا غضبوا على أحد لم يعاقبوه إلا بالسجن ، فكيف تليق الراحة فى السجن .

الثالث ـ أن الدنيا جميعها لا تسع شيئاً من عطايا الله لعبده المؤمن فيها ، فسماها سجنا لضيقها عليه ، وسرعة زوالها ، والأكدار والهموم والأحزان لا تستغرب فيها ، لأنها جبلت على الكدر طبعاً ، فهى مستحقة لذلك الوصف ، وإن لاح لك فيها شىء من الذوق والصفا فاستغنمه ، فإنه لا يعد من الدنيا ، وذلك قليل فى هذا الزمان ، طمست

البصائر ، وكشفت الحجابات ، وقلت الامدادت ، واستدامت الغفلة من الركون إلى غير الله والمحبة للدنيا والرجوع لغير الله ، فكل من أحب شيئاً سوى الله والدار الآخرة فهو عبده بسبب الحجاب ، والله تعالى يكره أن يكون عبده عبداً لغيره ، فاجعل محبتك خالصة لله تعالى ورسوله اللهم أيقظنا من غفلاتنا، ونوِّر بصائرنا ، وأعدم حجُبنا ، حتى لا نخاف ولا نرجو ولا نحب غيرك ، واجعلنا مطمئنين بذكرك ، مستلذين به فوق كل لذة ، واجعلنا شاكرين نعمتك ، خائفين نقمتك ، وكن بنا حفياً ولا تكن بنا مسيئا ، واجعل قلوبنا خالية عمن سواك ، متأهلة لامدادك ، وارداتك وروِّحنا من أكدار هذه الدار ، فإنها مجبولة على ذلك ، لا توجد فيها راحة لك أيها العبد من ثلاثة أوجه .

الأول ــ أنك غرض المصائب والبلاء .

الثاني ــ أنك لا ترى فيها بقاء حتى تطمئن بها ، وملك الموت مطالبك ، ولا تعلم وقته متى يهجم عليك بغير اختيارك فكيف تليق الراحة لمن هذه حالته .

الثالث ــ أنك على خطر الخاتمة ، نسأل الله حسن الخاتمة ، ومن كان لا يدرى بماذا يختم له عند الموت ، كيف تليق له الراحة .

ودارٌ بهـا كل الهموم توالت ، فاستغنم التسليم وارض المصيبة ،
فراضٍ بأقدار فراحته عجلت ، وساخط أقـدار نخصته نقمة ،

اللهم روِّحنا من الأحزان ، مادمنا فى هذه الدار ، بالرضى والتسليم لقضائك ، حتى لا نزال مستبشرين ، فرحين مستأنسين ، بك يا كريم يارحيم ، اللهم إنى أسألك أن تبشرنى ببشارات من أحببته من عبادك الصالحين ، اللهم يسِّر لنا أمورنا ، واغفر لنا ذنوبنا ، واجبرنا وارفعنا ، واهدنا وعافنا ، واعف عنا ، وانظر إلينا وأنت راض عنا ، واغفر لنا ما قدمنا إنك غفار الذنوب ، وستار العيوب .

باب فى اتباع الكتاب والسنة

عليك يا أخى وفقنا الله وإياك توفيق الصالحين ، باتِّباع الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً .

قال سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وأعلم أن المحافظة على السنة هى أصل النجاة والتهاون بهـا أصل الخسران ، فالعبد لا ينال حقيقة الإيمان إلا بالمحافظة على السنة ، اللهم أحينا على سنة سيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتوفَّنا على ملته ، وأحشرنا فى زمرته ، وأرزقنا محبته ومحبة أهل بيته أجمعين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وعليك بحسن الظن بجميع المسلمين ، وهم من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عليك بحسن الظن فى الخلق يافتى   فأسرار ربك سارية فى الخلائق
هو الغافر القابل لمن تاب والتجا   إليه هو الله المزيل العوائق

والأمور كلها لله فكيف الاعتراض على الله تعالى قال الله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً) (ولو شاء لهدى الناس جميعاً) وبالحقيقة إنك لا تهدى نفسك ، فكيف تهدى غيرك وعليك بحفظ لسانك من الغيبة والنميمة .

قال الله تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) وإن وقفت على عيب واحد من المسلمين فاستره ، فإن الله تعالى هو الستار ، وغض طرفك عن محارم الله وأعلم أن النساء حبائل الشيطان .

قال عليه الصلاة والسلام ما خلقت فتنة أشر على أمتى من النساء وقال سبحانه وتعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم) .

وأجتهد فى أكل الحلال تظهر منه الحكمة وصفاء القلب ، وأكل الشبهة يزيد فى قساوة القلب .

وعليك بمجالسة الصالحين ، فإن الجليس الصالح كبائع المسك لايسرى إليك منه إلا الرائحة الطيبة ، والجليس السوء كنافخ الكير لايلحقك منه إلا الشرار والنار ، وجلسة بين يدى ولى لله كحلب شاة أو كشج بيضة أفضل من عبادة سبعين سنة أو أن تقطع أعضاؤك إربا

إربا حيا أو ميتا فاعرف هذه المنة العظيمة ، وهى ساعة واحدة فضلت سبعين سنة صيامها وقيامها اللهم أرزقنا مجالستهم ومحبتهم وحسن الظن بهم والتسليم لهم .

قال معروف الكرخى رضى الله عنه أقل خصلة عند ذكرهم تنزل الرحمة ، فعسى عليك تنزل الرحمة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وعليك باحترام أولياء الله خاصة ولكن لا يعرف الولى إلا الولى .

قال الله تعالى من عاد لى وليا فقد أذنته بالحرب فاعرف قدرهم وجلالتهم عند الله تعالى

باب قيام الليل

قال الله تعالى خطاباً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) .

قال بعضهم منذ أربعين سنة ماغمنى شىء إلا طلوع الفجر ، وقال بعضهم لولا الليل ماأحببت الحياة ساعة فهؤلاء نفعنا الله بهم وجدوا فيه لذة لا تكيفها العقول ، لأنهم خلوا بمولاهم فى جنح الليل المظلم ، مع رقدة الغافلين ، وناجوه فى سجودهم ، وأسيلت دموعهم ، ولاحت لهم الأنوار ورفع لهم الحجاب ، فظهرت بهجاتهم سيماهم فى وجوههم

من أثر السجود) أولئك هم المؤمنين حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

باب فى ترك تدبير الرزق

قال الله تعالى (وما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها) فهذا دليل على أن الله قد ضمن لكل من فى الوجود الرزق من قبل أن يخلق الوجود ، فتدبيرك الرزق[1] أعتراض وتكذيب فلو تحققتَ هذه الآية أرحت قلبك وقالبك من التدبير ، فكيف تدبر شيئاً وتجتهد فيه ، وقد ضمن لك قبل وجودك .

قال عليه الصلاة والسلام ، لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً وأعلم أيها العبدان تدبيرك فى الرزق يعمى البصيرة ويزيد فى قساوة القلب مع أن الرزق قد ضمنه لك الله فطلبك له اعتراض وجحود نعوذ بالله من ذلك .

برزقك يامسكين ربك قد ضمن
فكن واثقاً به مطمئناً محقِّق

(١) معتقدا أن تدبيرك يوجده ويحدثه لا أنه سبب عادى اعتراض وتكذب وإلا فالسعى على الرزق على أنه سبب عادى مطلوب شرعا (فأمشوا فى منا كبها وكلوا من رزقه) .

ترى الطير ذى تغدو خماصاً وترجع
بطاناً وأنت أيضاً بذاك مصدّق

وقد قدر الارزاق من قبل خلقنا
فدع عنك هم الرزق فالله رازق

فقلبي لا يسكن لغير آلهــه
ورزقى ميسور ولا خاف طارق

فلا ينبغى تهتم بالرزق يافتى
وكن راجياً أبداً بربك واثق

وقم فى الدجى واتل القران مرتلا
وخرّ دموع العين فى الخد دافق

واطلبه غفران الذنوب جميعها
وسكنا بدار الخلد مع كل متقى

مع الحور والولدان فى جنة الرضى
وقد طال منى نحو ذاك تشوق

يحق لنا أن نترك النوم فى الدجى
لنيل المعالى والحسان النوائق

وتمت بحمد الله وأزكى صلاته
على المصطفى نورالشموس الشوارق

وأمته تعلو على كل أمة

عليه سـلام الله ما لاح بارق

وأعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة فاعزم وأجتهد ليوم التغابن ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ، نسأل الله السلامة ونعوذ به من الخذلان والندامة فاستغنم الطاعة مع رقدة الغافلين ، واترك مناظرة البطالين ، الذين هم فى خوض يلعبون ، وعلى حظوظهم عاكفون ، الذين يحبون العاجلة و يذرون الآخرة ، وناظر العارفين والصالحين الذين يشاهدون الله تعالى فى كل شيء ، ورحمته واردة عليهم فى كل وقت وحين :

حبيب خفى عن كل عين لناظر

وتنظره أرباب التقى بالبصائر

آلهى كيف لا تطاع وأنت الذى اخترعت كل شيء من العدم ، أم كيف تعصى وأنت القائم بكل شيء فلولاك ما عرف شيء ، ولا كان شيء أنت الاول والآخر ، والظاهر ، والباطن المعطى المانع المعز المذل اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك فإن العز فى الطاعة والذل فى المعصية

وقد آن لنا أن نختم الـكتاب بالدعاء ، اللهم أحفظنا وأحرسنا بعينك التى لا تنام ، وأكنفنا بركنك الذى لا يضام ، اللهم أيدنا

بمعرفتك وأذقنا محبتك واحشرنا مع أنبيائك بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا بك مستأنسين ومن سواك مستوحشين ، وببابك واقفين وفى رحمتك طامعين ، اللهم أسبل علينا بُرد عافيتك ، وحلاوة مناجاتك واجعلنا من أهل حضرتك ، اللهم اجعلنا متمسكين بسنة نبيك وصفيك وحبيبك سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم برحمتك يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

تمت بخير والحمد لله رب العالمين

مدیحة نبوية

للحبيب السيد على بن محمد الحبشى العلوى الحضرمى « المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ كما فى الأعلام عن تاريخ الشعراء الحضرميين »

هو النور يَهدِي الحائرين ضياؤه وفى الحشر ظِلُّ المرسلين لواؤهُ

تَلَقَّى من الغيب المجرّد حكمةً بها أمطرتْ فى الخافقَيْن سماؤهُ

ومشهودُ أهل الحقِّ منه لطائفٌ تُخبِّرُ أن المجدَ والشأوَ شأوُهُ

فللهِ ما للعينِ من مَشهد اجتِلاً يعزُّ على أهل الحجاب اجتلاؤه

أيا آزِحًا عنِّى ومسكنهُ الحشَى

أجِبْ من مَلا كلَّ النواحىِ نِداؤهُ

أجِبْ من تولاَّهُ هوًى فيك وامضِ فِي

فؤادىَ ما يهوَى الهوَى ويشاؤه

بنَى الحبُّ فى وسْط الفؤاد منازلاً فلِله بانٍ فاقَ صُنعًا بناؤه

بحكمِ الوَلاَ جَرَّدت قصدى وحبَّذا

مُوالٍ أراح القلبَ منه ولاؤه

مرِضتُ فكان الذكر بدءَ اعِلَّتِى فيا حبذا ذكراً لقلبى شِفاؤهُ

إذا علم العشاقُ دائى فقلْ لهم فانَّ لِقا أحبابِ قلبى دواؤه

أيا راحلا بلِّغ حبيبي رسالةً بحرفٍ من الأشواق يحلو هجاؤُه
وهيهات أن يَلقَ العذولُ إلى الحشَى
سبيلاً سواءٌ مدحُـــــه وهجاؤه
فؤادى بخير المرسلين مولَّعٌ وأشرفُ ما يحلو لسمعى ثناؤه
رَقَى فى العُلا والمجدِ أشرفَ رتبةٍ بمَبْداه حار الخلقُ . كيف انتهاؤه
أيا سيـــدى قلبي بحبك بائحٌ وطرفى بعدَ الدمع تجرى دماؤه
إذا رُمتُ كتم الحب زادت صبابتى
فسيَّان عنـــــدى بَثُّهُ وخَفاؤه
أجب ياحبيبَ القلب دعوة شيِّق شكا لفحَ نار قد حوتْها حَشاؤُه
وَمُنَّ بطيفك الميمونَ فى غفلة العدَا يقرُّ بطرف زاد فيك بكاؤه
لىَ اللهُ من حبٍّ تعسَّر وصفه وللّه أمرى والقضـــاء قضاؤه
فياربِّ شرِّفنى برؤية سيدى وأَجْلُ صَدَا القلب الكثير صَدَاؤه
وأَبلغنِ دَوْمًا ما أرُومُ من اللّقا بأعظمِ حبٍّ جَلَّ قصدِى لقاؤُه
عليه صلاة الله ما هبت الصَّبا وما أطربَ الحادى فطاب حُداؤه
مع الآل والأصحاب ما قال منشد (هو النور يهدى الحائرين ضياؤه)

مباحث الرسالة

صحيفة	
٢	ترجمة المؤلف
٢٠	خطبة الكتاب
٢٢	باب فى صفة الدنيا وذمها
٢٧	باب فى العبودية
٢٨	باب فى اشتياق الأرواح والواردات
٢٩	باب فى صفة القلب
٣٩	باب فى أتباع الكتاب والسنة
٤١	باب فى قيام الليل
٤٢	باب فى ترك تدبير الرزق
٤٦	مديحة نبوية للحبشى